منيرفا

MINERVA

مجلة فلسفية محكّمة- نصف سنوية

حلقة الدكتوراه الفلسفة و التشكلات الثقافية المعاصرة (جامعة تلمسان)

المجلد 04 / العدد01 / ديسمبر 2017 issn2437-0703 ملف العدد : العودة إلى هراقليطس.

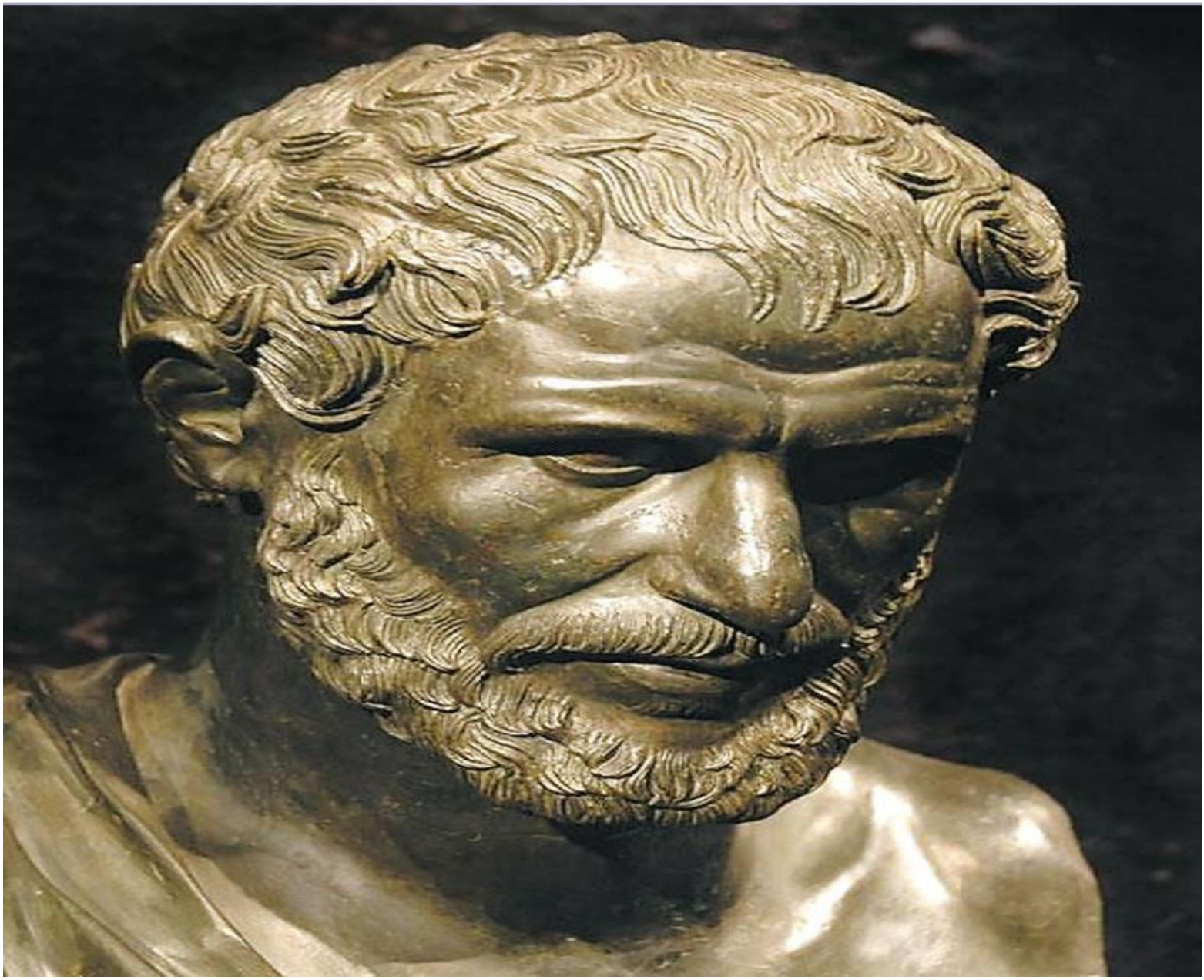

منيرفا الفلسفية Αθηνά

مجلة فلسفية محكّمة- نصف سنوية
حلقة الدكتوراه"الفلسفة والتشكلات الثقافية المعاصرة، جامعة تلمسان

- **ISSN:** 2437-0703, **EISSN:** 2600-6448

رابط المجلة على المنصة الوطنية للمجلات الجزائرية(asjp)

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/201

****

مجلد 04/ عدد 01
السداسي الثاني/ ديسمبر 2017

ملف العدد:

العودة إلى هيراقليطس

للتواصل مع منيرفا

http://mineravpilosoph.onlc.fr/

https://www.facebook.com/minervaphilosophie/

minervarevuetlemcen@outlook.fr

ص ب 317 الرمشي 13500

تلمسان13000

الجزائر

منيرفا الفلسفية

مجلة فلسفية محكّمة- نصف سنوية
حلقة الدكتوراه الفلسفة والتشكلات الثقافية المعاصرة، جامعة تلمسان

رئيس التحرير **د.بخضرة مونيس**

مساعد رئيس التحرير: طهيري عماد الدين

سكرتيرة المجلة: د. نصيرة كرمين

الهيئة الاستشارية

أد. شايف عكاشة(جامعة تلمسان) أد. عمر مهيبل(جامعة الجزائر)

أد. عبد الرحمان بوقاف(جامعة الجزائر) أد. عبد الله موسى(جامعة سعيدة)

أد. محمد عثمان الخشت(جامعة القاهرة، مصر) أد. سعدواي إبراهيم محمد(جامعة تونس)

أد. محمدي رياحي رشيدة(جامعة وهران) أد. بودومة عبد القادر(جامعة تلمسان)

أد. إسماعيل نوري الربيعي(الجامعة الأهلية، البحرين) أد. بوعرفة عبد القادر(جامعة وهران2)

الهيئة المراجعين

أد. كمال بومنير(جامعة الجزائر) د. دليل محمد بوزيان(جامعة تلمسان)

د. محمد شوقي الزين(جامعة تلمسان) د. بوعود أحمد (جامعة تطوان/المغرب)

د .غيضان السيد علي(جامعة القاهرة) د. عامر عبد زيد الوائلي (جامعة الكوفة، العراق)

د. رباني الحاج(جامعة معسكر) د. بن علي محمد(المركز الجامعي/ غليزان)

د. كرد محمد(جامعة معسكر) د. بن مختاري هشام(المركز الجامعي خميس مليانة)

د. حموم لخضر(جامعة مستغانم) د. زواوي رايس(جامعة سيدي بلعباس)

مجلد 04/ عدد 01

السداسي الثاني(ديسمبر 2017)

شروط النشر

1- يجب أن تتوفر في البحوث المقدمة الأصالة العلمية الجادة ولم يسبق نشرها.

2- على البحوث المقدمة أن تحترم القواعد العلمية والمنهجية المتعارف عليها في إنجازها، ويوضع التهميش في أسفل الصفحة وآليا.

3- نوع الخط المعتمد في تحرير المتن Traditional Arabic ونمط (16) واعتماد الطريقة الآلية في الإحالات وتكون بنمط(14).

4- على صاحب البحث كتابة اسمه وعنوانه الالكتروني والبلد الذي ينتمي إليه أسفل عنوان البحث.

5- ضرورة إرفاق سيرة ذاتية مختصرة مع البحث وتكون في صفحة خاصة ضمن البحث.

6- إرفاق البحث بملخص باللغة العربية واللغة الإنجليزية.

7- حجم البحث لا يقل عن 3 ألاف كلمة و لا يزيد عن 6 ألف كلمة.

8- المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث المرفوضة إلى أصحابها.

9- تحتفظ المجلة بحق نشر البحوث وفق برنامجها الخاص.

10- تخضع كل البحوث المقدمة للتحكيم العلمي من طرف الهيئة العلمية وبسرية تامة.

11- البحوث التي ينصح المحكمون إعادة تعديلها وتصحيحها تعاد إلى أصحابها لإجراء تعديلات المطلوبة قبل نشرها.

12- كل من نشر له بحثه، يتحصل صاحبه على أربعة(04) نسخ من المجلة.

13- لاقتناء عددا منها، يرجى الاتصال على عناوينها المبيّنة في المجلة.

الأبحاث المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما تعبر عن آراء الباحثين أنفسهم.

قول في منيرفا

تنحدر كلمة منيرفا من أعماق التراث البشري، وبالتحديد من مثولوجيا الرومان والإغريق العتيق، علما أن الخطاب الميثولوجي في ذلك الزمن كان يشكّل الثقافة الشعبية لمجتمعاتها، وبالتالي كانت مكونات هذا الخطاب في صلب التداول الاجتماعي والإيمان الديني، مما يبعد كل غرابة عندما نجد اسم منيرفا كدلالة على الحكمة داخل هذه الثقافة، والذي كان مرتبطا بآلهة الحكمة والفنون.

في هذا السياق، قال هيجل قولته الشهيرة في تصديره لكتابه" فلسفة الحق" ما يلي<< إن بومة منيرفا لا تبدأ في الطيران إلا بعد أن يرخي الليل سدوله>>. وهي مقولة رمز بها هيجل إلى الفلسفة وخصائصها بصفة عامة، نظرا لتقارب خصائص كثيرة بين طائر البوم الذي يفضل العزلة والسكون، ويصطاد في جنح الظلام، والفلسفة كنشاط و تأمل والتزام. وجملة هذه الخصائص جعلت منهما رمزا لمحبة الحكمة ومحبتها في الثقافة الغربية.

إن الفلسفة كما أكد هيجل في مقولته هذه، لا تظهر حيويتها ومفعولها إلا بعد أن يكتمل الواقع بناؤه، وبالتالي تحددت مهمة الفلسفة دوما في الكشف عن الأفكار والركائز الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، أي أنها تظهر متأخرة بعد أن تكون النظم الاجتماعية قد اكتملت وشاخت.

وفي منطقة أخرى من مناطق نص فلسفة الحق، كتب هيجل قائلا: أن الفلسفة ترسم لوحتها الرمادية، فتضع لونا رماديا فوق لون رمادي. فإن ذلك يكون إيذانا بأن صورة من صور الحياة قد هرمت، أو شكلا من أشكال الحياة قد أصبح عتيق، لكن ما تضعه الفلسفة من لون رمادي فوق لون رمادي، لا يمكن أن يجدد شباب الحياة و لكنه يفهمها فحسب.

ويقصد من هذا الرسم أن هناك فكرا شائعا في حياة الناس اليومية في شتى المجالات ، تأتي من أجله الفلسفة كفكر ثان منعكس، لتجعل منه موضوعا لها.

وهذا هو سر تأخر ظهور الفلسفة في المجتمع، بعد أن تكون الحياة قد دبت واكتملت وقد تعوّد عليها الناس وصارت شيئا مألوفا لديهم، وعليه تأتي الفلسفة لتعيد تقديم ما كان مألوفا للناس على أنه غير مألوف.

في ظل الظروف العصيبة التي يمر بها عالمنا المعاصر، وتحت ثقل دلالات منيرفا وطول تاريخها العتيق، جاءت هذه المجلة الفلسفية الحاملة لمقومات هذا الاسم، لعلها تكون فضاءا مناسبا للتأمل والإبداع الفلسفي للكثير من الباحثين وهواة التفلسف والتأمل والفكر الحر النزيه، لتحمل بين صفحاتها ما جادت به قرائحهم التأملية وأفكارهم الفلسفية لملأ الفراغ الحاصل بيننا في هذا المجال، الأمر الذي جعل منها مجلة متخصصة في شؤون الفلسفة لا غير، تسعى لنشر كل ما يتناول في عالم الفلسفة الكونية وفق برامجها الخاصة، الشيء الذي سيجعلها فوق أي اعتبارات ضيقة أو خلفيات خاصة أو إيديولوجيات زائفة.

إن مجلة منيرفا تدعوا وترحب بكل من يريد أن ينخرط في نادي الكتابة الفلسفية، وتقيّيد أفكارهم في معاقلها، ولتبادل وجهات النظر والآراء داخل هذا العالم، الذي بات أكثر من أي وقت مضى بحاجة لطلاء فلسفي له، وإعادة ترميمه وتلميعه من جديد، وترسيخ الثقة فيه لجعله المكان الوحيد الذي تولد فيه الحياة المرجوة، بفعل غرس فيه قيم السلم والحرية والتسامح والاختلاف والمرح وحتى اللعب ولكل ما يدخل في تكوين عجينة الإنسانية، خاصة وأن ميلادها تزامن مع هبوب عواصف من كل جهة وصوب على مجتماعاتنا المعاصرة، جعلت من جماهيرها أكثر قلقا وغثيانا، مما جعلنا نعتقد أنه هو الزمن المناسب للتفلسف.

عن رئيس التحرير

فهرس

الكاتب	عنوان الدراسة	صفحة
افتتاحية/ رئيس التحرير	**في العودة إلى هيراقليطس**	**02**
د/ مونيس بخضرة، جامعة تلمسان	**هيراقليطس والتأسيس الديالكتيكي للمعرفة**	**04**
أد. عامر عبد زيد الوائلي، جامعة الكوفة، العراق	**تجليات الحجاج في الفلسفة اليونانية–هيراقليطس عائدا من جديد–**	**10**
(ب) زروقي كمال: جامعة وهران2 /محمد بن أحمد	**الفلسفة ومشكلة العودة إلى اليونان تجليات الحجاج في الفلسفة اليونانية–هيرقليطس أنموذجا–**	**29**
د. عبد القادر فهيم شيباني، كليات التقنية العليا–رأس الخيمة، دولة الإمارات العربية المتحدة	**المعرفة التشاركية ومفهوم الذكاء الجماعي –دراسة حول التفاعل الرقمي في شبكات التواصل الاجتماعي–**	**40**
(ب)كرمين فتيحة، (جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان–الجزائر)	**الفن والجمالية عند نيتشه**	**56**
(ب) مهيدي خالد(جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس)	**نحو رؤية شمولية ونقدية لفلسفة الفن في الفكر الغربي الحديث والمعاصر**	**68**
(ب) عبد الهادي بوحسي مزري مالك(جامعة وهران 2)	**إشكالية التراث والأخر في الفكر العربي المعاصر–قراءة في فكر حسن حنفي–**	**87**
أ.بن مختاري هشام (جامعة خميس مليانة) أ.سيفي حياة (جامعة تلمسان)	**إشكالية ترجمة المصطلح**	**102**
(ب) هشام مصباح، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة(2)	**الثورة البيولوجية ورهانات البيواطيقا**	**114**
(ب) طرواية عمر (جامعة تلمسان)	**مسألة العقل والقلب في فلسفة التصوف عند الإمام ابن يوسف السنوسي التلمساني**	**133**
(ب) تفاحي فتيحة (جامعة سعيدة) إشراف د. مونيس بخضرة (جامعة	**تطبيقات الطب المعاصر وسؤال الإتيقا**	**153**

تلمسان)		
(ب) العسكري زينب إشراف: أ.د سواريت بن عمر، جامعة وهران -2-	**تاريخ الديمقراطية**	**164**
د. رضا بن تامي (ب) قادة بن عبد الله نوالد (جامعة تلمسان)	**نظريات في خدمة العلوم الاجتماعية–قراءة في دور نظرية التفاعلية الرمزية–**	**187**
د. الكبار عبد العزيز د. صغير حياة (جامعة تلمسان)	**التربية والتغير الاجتماعي عند مالك بن نبي**	**198**
(ب) مرزوقي وسيلة (جامعة تلمسان)	**اللغة والتواصل**	**212**
(ب) سعيدي خديجة (جامعة تلمسان)	**بانوراما تاريخ الأدب الروسي–الرواية والشعر–**	**222**
-Kaidi Ali, Université du Québec À Montréal, CANADA Hasna Samir, Université -Hassiba Benbouali de Chlef, ALGÉRIE	**État de nature chez Hobbes : réalité, fable ou hypothèse** ?	**237**
(ب) بومعزة هجيرة إشراف: أ.د. نابي بوعلي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر	**-قراءة الخطاب الديني بمنظور الفكر الصوفي عند أدونيس**	**259**

هيراقليطس والتأسيس الديالكتيكي للمعرفة

د. مونيس بخضرة(جامعة تلمسان)

تعود الاهتمامات الأولى بالديالكتيك إلى الإليين ثم هراقليطس (576-480ق م) كما قال هيجل في كتابه" تاريخ الفلسفة" وهذا الأخير الذي غالبا ما ينظر إليه من أوائل الفلاسفة أن الوجود والعدم يتماهيان في الصيرورة ([1]) وبأن كل شيء متحرك ومتغير، وأيضا من أوائل من اكتشفوا الطابع الديناميكي الفاعل للأضداد وصراعها، وانتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى والذي يثبت أن الأضداد متماثلة، وأن هناك وحدة فيما بينها. وفضلا عن ذلك، فإن الشيء نفسه إذا تناولناه حسب هيراقليطس من أوجه متعددة يكشف لنا عن صفات متناقضة، وكلما انفصلت هذه الأضداد يخلق شيء جديد يخضع لقانون الحركة العامة. هذا الصراع في نظر هيراقليطس هو روح النفي، وهو في الوقت ذاته مبدأ إيجابي يعبر عن الجانب الديناميكي للوجود، وبهذا يصبح ضرورة وقانونا حتميا للكون نابعا من الحياة. فالصراع ما هو إلا استجابة لوحدة الأضداد في جوهرها لبعضها البعض، جوهر الوحدة الذي هو التوافق ووحدة الوجود ([2]).

أراد هيراقليطس من فلسفته الديالكتيكية أن يعبر عن المشترك والواحد والمتقوم، وفي الوحدة التي تجمعهما، فغالبا ما فهم أن فلسفة هيراقليطس حول الوجود على أنها فلسفة التغيّر الدائم للأشياء وتدفق أنطولوجي مستمر، وهذا الذي أكده أفلاطون على لسان سقراط(470-400ق م) في محاورة "تياتيتوس" عن فلسفة التغيّر لهيراقليطس قائلا: (...) وكذلك بالنسبة لكل شيء، إذ لا يوجد شيء واحد محدد أو ذو صفة ثابتة، في أي حال من الأحوال، وكل ما نصفه بالوجود إنما هو في صيرورة وحركة، وامتزاج متبادل، ووصفه بالثبات هو وصف مضلل، إذ لا شيء موجود، بل كل شيء يصير(...)([3]).

تعلن فلسفة هيراقليطس عن الصيرورة والتغيّر عن أن الاستمرار ما هو إلا حركة نسبية. فمثلا: حينما نقول أن كل شيء يفعل ذلك بنفس الدرجة والسرعة في المظهر الخارجي، ففي الأشياء التي تبدو أكثر صلابة وبقاء، يحدث نوع من التغير، وحتى لو لم يكن هناك دليل مرئي لهذا التغيّر، فهناك احتمال أن كل شيء يخضع لنوع من التغيّر الخفي بطريقة ما، أو بالأحرى في كل لحظة من اللحظات في نظر هيراقليطس.

يبرر هيراقليطس طرحه هذا، بأن الوجود خاضع لقانون التضاد (*)أو الصراع الدائم فالحرب مثلا في نظره ملك جميع الأشياء، وأبوها هو الذي جعل البعض الآخر أجدادا([1]).

---

[1] الصيرورة: هي انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى، أو من زمان إلى زمان أخر، وهي مرادفة للحركة والتغير من جهة كونهما انتقالا من حالة إلى أخرى، كانتقال الوجود من القوة إلى الفعل، والشيء المتصف بالصيرورة نقيض الشيء المتصف بالثبات والسكون. أنظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي(ج1) دار الكتاب اللبناني، بيروت 1987، ص07.

[2] نيوكاريس كسيديس، جذور المادية الديالكتيكية(هيراقليطس) ترجمة حاتم سلمان، دار الفارابي، ط1، 1987، بيروت، ص212.

[3] أفلاطون، تياتيتوس أو عن العلم، ترجمة أميرة حلمي مطر، الهيئة المصرية العامة 1973، ص48.

* التضاد: هو التباين والتقابل التام، وضد الشيء خلافه، وقانون التضاد، وقانون التضاد هو أحد قوانين التداعي والتقابل. أنظر: جميل صليبا، مرجع سابق، ص285.

الوحدة والاتساق اللذان يشير إليهما هيراقليطس لا يخلوان من التوتر أبدا وهما سر ديمومة الصيرورة وتدفقها، أي أن الاتساق الذي يعقب التضاد غير ثابت، والذي يضفي إلى تضاد يعقبه اتساق، وهكذا دواليك. وبسبب ذلك اعتبر هيراقليطس أن جميع الموجودات في الوجود اتصفت بالسيلان الدائم الشبيه بسيلان ماء الجداول المنساب على الدوام. هذا السيلان لا يلاحظ على الصيرورة الدائمة فحسب بل على قانون التضاد والاتساق المتعاقبين واللذين لا يختلفان إلا في الظاهر. فنحن كما قال هيراقليطس: لا يمكن أن نتناول الشيء كما تناولناه في السابق ([2]).

الوجود في نظر هيراقليطس خاضع لقانون الصيرورة(اللوغوس)، وهو عالم الحس ذاته، مع أن قانون الصيرورة لا يتغير ولا يقع تحت الحس، فقد يدركه المرء بوجدانه.

تاريخيا، ارتبط اسم هيراقليطس في التراث الفلسفي الغربي بموضوعات التغيّر والتناقض، حتى أن هناك في أغلب الأحيان ميلا إلى تأكيده الخاص الذي يضعه على الوحدة في كل الأشياء بمعنى متميز ومتناقض ([3]) فعلى أي أساس فلسفي برّر هيراقليطس ذلك؟ وما هي الأدلة التي صاغها في إثبات صيرورته؟

وفق عبد الله إبراهيم، تتصل منظومة هيراقليطس الفلسفية بمنظومة الأفكار التي وضعها كل من طاليس (624-546 ق م) وانكسمندر(547-610ق م) وأناكسمين(524-588ق م) قبله، والتي من خلالها يظهر أنه أخذ أفكارهم وأعاد إنتاجها على نحو خاص به بما يخدم أفكاره الشاملة. ولعل أهم ما ميّز فلسفته هو فكرة الصيرورة التي تعد الصورة العليا للديالكتيك، التي تعد تساوقا وتناغما وانسجاما. بمعنى أن هذه الصيرورة تولّد نوعا من الائتلاف. ومثال ذلك: الليل والنهار، الشتاء والصيف، الحياة والموت. وكل خطأ في أحد الضدين يجاوز الحد المعين له، يعاقب بالموت والفساد، وتتصل بهذه فكرة أخرى وهي فكرة التغيّر المتواصل الذي لولاه لعم الفناء والموت ([4]).

التغيّر هو الذي يعطي للأشياء ديمومتها بصورة مختلفة، وهو أمر يؤدي إلى استحالة القول بوجود عناصر ثابتة للأشياء كما ادعى الإيليون. هذه الصيرورة هي التي تجعل الأشياء في تدفق أبدي، تفنى وتوجد في اللحظة نفسها، فهي والحال في جريان متصل، وهي جوهر الأشياء. أما المبدأ الأول في نظر هيراقليطس فهو النار التي ترمز للحركة بسبب تغير شكلها المستمر، والتي يصفها باللطيفة والأثيرية، وعن هذا قال: إن هذا العالم-وهو واحد للجميع-لم يخلقه إله أو بشر لكنه كان وهو كائن، وسوف يكون نارا أبدية تشعل نفسها بمقاييس منظمة تخبو بمقاييس. فالنار تفرق ثم تجمع، إنها تتقدم وتتقهقر ([5]) والتي تمثل حياة العالم والقانون الكلي والذي هو اللوغوس.

بناءا على هذا الطرح، قيل أن هيراقليطس اكتشف الترتيب والانتظام والثبات الذي يبرز في كل صيرورة، لأن الثبات يوفر إمكانية لا نهائية لتغيّر متصل، وكل هذا محكوم بقوة قانون ثابت هو اللوغوس. لقد تردد هذا المصطلح كثيرا في شذرات هيراقليطس الفلسفية ومنها نجد في قوله: يجب أن يتبع الإنسان اللوغوس أو القانون العام، ألا وهو ذلك الذي هو شائع لدى الجميع. وفي شذرة أخرى يقول هيراقليطس: إن اللوغوس أو القانون

---

[1] ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس، دار العلم للملايين، ط1، 1991، بيروت، ص38.

[2] المرجع نفسه، ص38.

[3] فليب ويلرايت، هيراقليطس، ترجمة عبد الراجعي، دار المعارف بمصر، ط1، 1969، ص133.

[4] عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص169.

[5] نقلا عن فليب ويلرايت، هيراقليطس، مرجع سابق، ص60-65.

الكلي للكون كما هو وارد هنا مشروح، غير أن الناس عاجزون عن فهمه سواء قبل أن يسمعوا به مرة على الرغم من أن الأشياء جميعها تظهر إلى حين الوجود بمقتضى هذا القانون ([1]).

اللوغوس عند هيراقليطس هو العقل الكوني والقانون المنظم لمبدأ الانسجام في الطبيعة، أي ذلك القانون الذي يسير عليه الوجود الثابت، وهو القانون الخفي المستتر، الذي يحرك الأشياء والذي يجري وفق كل أنواع التغيّر في الوجود. إنه قانون موجود بالضرورة. فكل شيء يجري وفقا له، وهو المعيار الأبدي الكامن وراء التغيير الدائم للظواهر، ومقياس العناية لجميع الأشياء. واللوغوس كما يخلص إليه هيراقليطس ما هو إلا ذلك القانون الأزلي الذي ينظم الوجود.

من هذا الطرح، يظهر لنا هيراقليطس أنه أدرك فعلا جوهر الحركة والتغير الدائمين، حيث يشكلان الجوهر الأقوى للكائن. السيلان الشامل هو بالنسبة لهراقليطس يمثل عملية نشوء وزوال الأشياء في آن واحد. إن ما يولد يهلك في اللحظة نفسها، وما هو موجود غير موجود. بهذه الطريقة عبر عنه هيراقليطس في الجمع بين وجوده وعدمه.

ظلت عملية ظهور الأشياء وزوالها، والولادة والفناء، والبعد والقرب، مرتبطة بالزمن، علما أن الحاضر في فلسفته يشكل حدا غير مدرك بين الماضي والمستقبل، حيث يقترب المستقبل ليصبح حاضرا، في حين عندما يصير الحاضر حاضرا يبتعد عن الماضي. الكل الآن حسب هيراقليطس في صيرورته، أصبحت غير الآن، وليصبح هذا الزمن هو الأول والأخير بين الأشياء جميعها، يتضمن كل شيء، وحده يوجد ولا يوجد، يخرج دائما مما هو موجود، ويعود من الجهة المقابلة، لأن اليوم هو الأمس ([2]) فكل ما يصيبه مجرى الزمن موجود، والكل هو عابر وفان في نظر هيراقليطس.

يرى هيراقليطس أيضا أن الحياة تأخذ بالزمن ولا تعاش لحظة منها مرتين، لأن كل شيء فيها سيمضي وكل ما سيكون آت وإذا أتى ذهب. وكل شيء يتغير ويزول إلى غير رجعة. فالظهور والزوال والنشوء والانعدام، والوجود واللاوجود مرتبطة فيما بينها، ويستدعي كل منهما الأخر ويمر الواحد بحالة الآخر. فالموت عند هيراقليطس ليس غريبا عن الحياة، لماذا؟

يجيب هيراقليطس بأننا ندخل ولا ندخل في السيل الوحيد للحياة، نحن موجودون وغير موجودين، وهذا تعبير عن اهتمامه الكبير بعملية الحركة والتغيّر والتعارض وزوال الأشياء. ففيما يكمن هذا السيل الدائم للزمن وهذا التعاقب للأشياء؟ وهل هناك نظام أو معنى عقلي يتحرك في كل شيء؟

يرى هيراقليطس أن جوهر الأشياء متغير، والعالم عبارة عن مجموعة أشياء داخلة في دوامة الوجود. فكل ما يتحرك يعيش وكل ما يعيش يتحرك. فالسكون والراحة هما من صفات الأموات. لقد أبعد هيراقليطس السكون والثبات عن الكون لأن ما هو موجود يجري فيه سيل الحياة ([3]).

---

[1] نقلا عن عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، مرجع سابق، ص170.

[2] المرجع نفسه، ص170.

[3] نيوكاريس كسيديس، هيراقليطس، مرجع سابق، ص190.

أما الحركة، فقد نظر إليها هيراقليطس على أنها ظاهرة أبدية وخالدة وملازمة لكل شيء، وبهذا المعنى تصبح الحركة مطلقة عن طريق وحدة الأضداد، وبما أن الأضداد تتطابق عد هيراقليطس فما هو سبيل بينها ليس هو مجرد وحدة بل أو أيضا تماهي الأضداد وتطابقها. والحركة والتغير يستجيبان لانتقال كل ضد إلى أخر، بينما تفرض

وحدة الأضداد التبادل فيما بينهما. فوحدة التطابق التماهي تعني عند هيراقليطس أن كل شيء ينتقل إلى ضده ضمن عملية الحركة. وإذا كانت الأشياء تدخل في وحدة الأضداد، فهذا يعني أنها متناقضة في الداخل وبالتالي يصبح دور المعرفة عند هيراقليطس الكشف عن التناقضات التي تتمثل في تصوراتنا ومفاهيمنا وأحكامنا، فازدواج الواحد ومعرفة أجزائه المتناقضة هو كنه الجواهر وقد يكون الأساس الوحيد للديالكتيكية.

إن جملة الخصائص التي تتصف بها صيرورة هيراقليطس، مقتبسة من طبيعة النار التي بنى عليها هيراقليطس فلسفته، فماذا يعني هيراقليطس بهذه النار، وما علاقتها بفكرة الصيرورة؟

النار عند هيراقليطس هي عبارة عن رمز كلي للوجود، إنها نار حقيقية ملتهبة تعطي الحرارة، وفي الوقت نفسه هي مبدأ هيراقليطس الأساسي في الصيرورة والتعيير العام، وفي هذا المعنى يقول: إن في الكون الذي يبقى دائما نفسه بالنسبة لكل الناس، لم يخلق من طرف أي إله ولا أي إنسان، فهو دائما وأبدا وهو كائن والآن، وسيبقى أبدا دقيقا وأبديا، يشتعل وينطفئ بقدر، تعيش النار موت الهواء ويعيش الهواء موت النار(...) ([1]).

من هذا القول، يتضح لنا أن هيراقليطس يرى أصل العالم هو النار، فهي المبدأ الأول للوجود نار إلهية لطيفة، نسمة حارة عاقلة، أزلية أبدية تملأ العالم، هذا العنصر إذا تكاثف صار بحرا والبحر وإذا تكاثف صار أرضا، ومنهما معا تتصاعد الأبخرة ثم تتحول إلى يحتك بعضها ببعض، فيحدث أحد الأمرين. إما أن تلتهب فيكون بدر وتعود نارا، وإما أن تلتهب السحب فتنتهي العاصفة وتعود النار إلى البحر. فالتغيير يجري في الكون في اتجاهين متعاكسين، أحدهما إلى الأعلى عندما تتحول الأشياء إلى ماء، والآخر في اتجاه نازل. والأهم في فلسفة هيراقليطس هو ما يعكسه مذهبه من الشعور القوي بالتغيّر الدائم في الوجود، فالحياة كلها في نظره هي صيرورة أبدية ([2]).

من آرائه الاستثنائية اكتسبت فلسفته قيمة فلسفية تاريخية كبيرة، كونها تجعلنا نستشف منها منطق الواقع ومنطق الفكر معا. ومنها ظهرت البذور الأولى للديالكتيك، حيث ساهم في تطور المعرفة العلمية والفكر الفلسفي، وقد ظهرت تأثيرات هيراقليطس الفلسفية على الفكر الفلسفي القديم وحتى على الفكر الفلسفي الحديث، حيث ظهرت تيارات فكرية محدثة تستمد أصولها من موقف فيلسوف الصيرورة الأول، وهذا ما جعل نيتشه مثلا يصفه بالرجل الارستوقراطي الحقيقي، أي ذلك الرجل الذي تتحرك أفكاره وكلماته وأعماله داخليا عن بعد ([3]).

---

[1] نقلا عن رضا الزواوي، في الفكر الجدلي، دراسة تحليلية نقدية ونصوص، منشورات العيون، دار البيضاء، ط2 1987، ص64.

[2] Bertrand Vergely, Les philosophes anciens, les essentiels 13 milan 1997, p25.

[3] فتحي التريكي، أفلاطون والديالكتيكية، الدار التونسية للنشر، ط2 1986، ص08.